واحة الأسرة

كيف نقدِّم السيرة النبوية لأبنائنا في أوروبا؟



الاثنين 26 أبريل 2021 12:16 ص

بقلم.. طه سليمان عامر

إن سيرة رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ليست ككل السِّيَر، إنها سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين، وقدوة الأنام إلى يوم يأذن الله لصفحات الحياة أن تُطوى، وللأرواح أن تُقبض، إلى يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

وإننا لنفخر بأن سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليهم وسلم كاملة وحياته وضَّاءة كالشمس في وسط السماء في يوم رائق دافئ، ولأمرٍ قدَّره الله تعالى جاءت سيرته صلى الله عليه وسلم ظاهرة صافية؛ فلا توجد صفحة من صفحات حياته ولا مرحلة من عمره إلا ونحن نعلمها، ولا جانب منها إلا وقد رواه لنا أصحابه العظام.

لقد أحاطت كتب السيرة النبوية بتفاصيل حياته، ووصفت لنا كتب الشمائل أدق صفاته الخَلقية، وطباعه وصفاته وماذا يحب من الطعام والشراب واللباس.

ولا غرو أن اعتنى المسلمون منذ القرن الأول بكتابة السيرة، وتوالت المؤلفات بعد ذلك، ولا عجب حيث إن الصحابة الكرام كانوا يُعَلمون أبناءهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلمونهم القرآن العظيم، فالسيرة هي التطبيق العملي الميداني لتوجيهات وتعاليم القرآن الكريم، وهذا هو المقصود بقول السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: «كان خلقه القرآن».

السيرة النبوية ضرورة عصرنا وكل العصور، وكل من رام فهم الإسلام فعليه أن يقتفي آثار رسولنا الكريم وصحابته الغُرّ الميامين، وكل من التمس طريق الرضا والقبول والسعادة والفلاح في الدارين فعليه بسيرته العطرة.

والآن أسطر هذه الكلمات الموجزة في أهداف أو مقاصد مدارسة السيرة النبوية لأبنائنا في الغرب والوسائل المعينة على ذلك.

لا يخفى على أحد أن زماننا يختلف عن كل زمان مضى، وأن طبيعة المجتمع تختلف عن المجتمعات الإسلامية في مكوناته وتحدياته، وكذلك فرصه وآفاقه، وأولاد اليوم يختلفون عن أولاد الأمس، من حيث سرعة النضج والنمو، ومن حيث طريقة التفكير والتعبير، ومن حيث التجربة، فقد جاء كثير من أبناء مسلمي أوروبا من وطن إسلامي مع أسرهم لدار جديدة عليهم في كل شيء، ونشأت مشكلة من نوع آخر مع الأجيال الجديدة، فهم أبناء هذا الوطن الأوروبي من حيث المولد وأبناء آباء وفدوا من أوطان إسلامية، فيَشُدُّهم حنين وطن الآباء من جانبٍ، ويجذبهم حبهم لبلدهم الأوروبي من جانب آخر؛ فكيف يوازن الطفل والشاب المسلم بين حبه لبده هنا ووفائه لوطن آبائه؟

سيجيب هذا المقال بإيجاز عن هذا السؤال مع طرح بعض الحلول والأفكار والمقترحات.

كيف تقدم السيرة النبوية لأولادنا؟

ستقـدم الكثير والكثير، وذلك مرهون بفهمنا لأبعاد السـيرة النبويـة، وحسن قراءتها وتوظيفها بما يراعي خصوصـية الواقع الـذي نعيشه ويعيشه أبناؤنا.

إن إبـداعنا في عرض السـيرة النبويـة بلغـة العصـر وروحه هو أعظم برهـان على أن الإسـلام يقـدم الحلول لكل المشـكلات التي تعترض حياة المسلم في الشرق والغرب وفي زماننا وفي كل العصور.

أولاً: السيرة النبوية ومقصد التأسي:

من أعظم مقاصد دراسة السـيرة النبوية لأبنائنا هو الاقتداء بالرسول صـلى الله عليه وسلم كما قال جل شأنه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب: 21).

إن غرام النـاس بأصـحاب البطولاـت وأهل مكارم الأخلاق والنبل والشـرف لا ينتهي، إننا نتعلق بشـكل كبير بمن نرى فيهم أعظم المكـارم التي نهفو إليهـا متمثلـة فيهم، وحيـة في أخلاـقهم وسـلوكهم، ولا ينسـى الكثير منا القصـص التي كان يروبها لنا آباؤنا وأمهاتنا ونحن صـغار فتعلقنا بالبطل الفارس المغوار، أو بالرجل الطيب النبيل الكريم الذي كان يُشفق على الضعفاء من الناس، تلك القصص ألهمتنا الكثير وتركت أثرها فينا.

فما بالنا بخير القصـص؟ فما بالنا بسـيرة النبي الأعظم؟ أولادنا في أوروبا بحاجـة إلى القدوة التي يتمثلونها وتتعلق قلوبهم بها، وهو صلى الله عليه وسلم القدوة الكاملة.

ثانياً: السيرة النبوية وتكوين الهوية:

تقدم السيرة النبوية حلولاً لمشكلة تعاني منها الأجيال الجديدة في أوروبا والغرب عامة، وهي مشكلة الهوية، بمعنى: من أنا؟ هل أنا مسـلم ألماني أم ألماني مسـلم؟ هل يمكن أن يكون هناك تعارض بين الانتماء للإسلام والانتماء للوطن الأوروبي؟ أم يمكن أن تتعدد الانتماءات، مسلم ألماني فرنسي إيطالي عربي، هندي، أفريقي.. إلخ؟

ا طبيعة علاقتنا بالمجتمع؟ هل يمنع اختلاف الدين من المودة والمحبة بين زملائه أو معلميه لأنهم غير مسلمين؟

وتلكم محاور مهمة تساهم في تكوين الهوية الإسلامية للمسلم الأوروبي طفلاً كان أو شاباً أو فتاة، من خلال السيرة النبوية:

1- حب الرسول صـلى الله عليه وسـلم لمكة وشوق الصـحابة لها بعد الهجرة؛ فحب الأوطان أمر فطري ركبه الله فينا والوفاء لها من الإيمان؛ فلا مانع أبداً من تعدد الانتماءات فيكون مسلم ألماني مغربي، مصري، سوري.. إلخ.

2- هجرة معظم الصـحابة من المدينـة المنورة، وانطلقوا في كل مكان وعاشوا في أوطان معظمها غير مسـلمين، ونشـروا الخير والحب والعلم والإيمان.

3- علاقـة المسـلم بغير المسـلم داخل الوطن الألماني والأوروبي قائمـة على السـلام الاجتماعي والمودة والاحترام والأخوة، مع احترام الخصوصـيات الدينية لجميع مكونات المجتمع، وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمع المدينة المنورة على أساس التعايش بين الناس جميعاً.

4- المسـلمون إخوة في كل مكان برابط العقيدة والأخوة الإسلامية، والنصوص النبوية كثيرة في هذا الباب، وعلينا أن ننمي شعور الأخوة في نفوس أبنائنا تجاه إخوانهم المسلمين حول العالم.

5- حياة الصـحابة زاد عظيم لأبنائنا في التربيـة الإيمانيـة والأخلاقيـة والإنسانية، علينا أن نقدم لهم قصـص الصـحابة باللغات التي يتقنونها؛ فما أجمل أن يتعقلوا بصـفاتهم وأخلاقهم، فيأخذوا مِن أبي بكر الصديق رضـي الله عنه حلمه ورفقه وصدقه، ومِن عمر شجـاعته وفقهه وفراسـته، ومِن علي زهـده وذكـاءه وفصاحته، ومن عثمان لينه وحياءه وعفته، ومن خالـد براعته وإقـدامه، ومن عمرو بين العاص سياسـته ودهاءه، ومن كل أصـحاب رسول الله رضوان الله عليهم خلقاً ونبلاً وعظمـة، فهؤلاء تاريخنا وجـذورنا، ومن لا أصل له فمهدوم، ومن لا جذر له فزائل.

وأما بناتنا فيالعظمـة أمهات المؤمنين والصـحابيات الكريمات؛ أمنا خديجـة رضـي الله عنها العقل الرشـيد والرأي السديـد والأدب الرفيع والصبر الجميل، وعائشة رضـي الله عنها الفقيهة العالمة المربية الزاهدة، وسـيدة نساء أهل الجنة السيدة فاطمة الزهراء رضـي الله عنها؛ الزوجـة البارة العظيمـة والأم التي أنجبت سـيديْ شـباب أهل الجنـة الحسن، والحسـين، رضـى الله عنهما، ومع السـيدة أسـماء بنت أبي بكر وقصـتها الفريدة في الهجرة، البنت النادرة والأم الصـبورة المربية والزوجة العظيمة، وغيرهن كثير ممن ساهمن في بناء الأمة بجميع مجالات الحياة.

هؤلاء فخرنا ومبعث عزتنا ومجدنا وسـعادتنا، هؤلاء من عاشوا عصـر السعادة الأول، لم يكونوا ملائكة ولا أنبياء بل بشراً ممن خلق الله، لكنهم مشوا على الأرض وقلوبهم نحو السماء؛ فما أجدر أن يكونوا مثالاً لأولادنا ينسجوا على طريقتهم.

وبقي شـيء أقوله هنا وهو: لا نريـد أن نتوقف عنـد صـحابة الرسول صـلى الله عليه وسـلم فقط، بل يجب أن نقدم لأولادنا بعض النمـاذج من جيـل التابعين وتابعيهم إلى يومنا من القـدوات التي سارت على الطريق فوصـلت وتحقق فيهم قول الله تعالى: (ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ {13} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ) (الواقعة: 14).

ثالثاً: السيرة زاد روحي في عصر المادة:

علينـا أن نصـل قلوب أولادنا وأرواحهم برسول الله صـلى الله عليه وسـلم، وأن نغرس فيهم محبته والشوق إليه والفخر والتعلق به.

دعونا نتصارح:

هل نشعر بالشوق حقاً؟ هل تضطرب قلوبنا عند ذكره؟ هل تلهج ألسنتنا بالصلاة عليه؟ هل نتمثله في حياتنا؟

هل دمعت عيوننا عند قراءة سيرته؟

كثير من شبابنا وأولادنا يقولون: «نحن نحب الرسول صلى الله عليه وسلم»؛ فكيف نشعر بهذا الحب؟

كيف نشعر بأنه أحب إلينا من أنفسنا؟

نحن أمام تحدٍّ مع أنفسنا قبل أداء مهمتنا الكبيرة مع أولادنا.

البداية منا نحن:

هل أحببت شخصاً لم تره عينك؟ ولم تسمع صوته وليس لديك أمل في لقائه؟

منا من مات أبوه وهو صغير لم يدركه، ولم يرتمِ يوماً في أحضانه وهو بعدُ في شوق له وحنين لا ينقطع، ويهفو إلى يوم يجمعه به في جنة السماء.

ومنا من لم يـدرك جـده أو جـدته أو أحـد أقاربه، غير أن اللغة التي تحدث بها عنهم الأقربون واللهجة الصادقة والعاطفة المتدفقة ألهبت كوامن الحب فينا نحوهم.

هل يمكن أن نحدث أولادنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه اللهجة وبهذا الشوق؟

ما أروع السـياحة في كتاب «فن الـذكر والـدعاء عند خاتم الأنبياء» لشـيخنا محمد الغزالي، وهو يجول بنا حول عبادة الرسول لربه وحبه وتضرعه وشوقه وذكره وشكره!

يمكن تناول عدة موضوعات في السيرة على النحو التالي:

كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال؟ هناك مواقف كثيرة في السيرة النبوية يجمل بنا أن نتوقف عندها.

- رفق الرسول صلى الله عليه وسلم بالحيوانات.

كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الجمادات.. الجذع حينما بكى واحتضنه عليه الصلاة والسلام.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالضعفاء والفقراء وأصحاب الاحتياجات الخاصة.

شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر إلهام، مع حسن اختيار المواقف المناسبة لعمرهم.

علينا أن نستحضـر الظروف والمشـكلات والتحـديات التي يواجهها أولادنا، وأن نؤسـس معرفـة علميـة تقيهم من فتن الشـهوات والشبهات.

رابعاً السيرة والمعادلة الصعبة:

ماذا نقصـد بالمعادلة الصـعبة؟ أي: الجمع بين الاسـتمتاع بالدنيا وكسب رضا الله والجنة، وتلك عقدة كبرى حلها الإسـلام، وأفصـح عن بيانها القرآن الكريم، وربَّى الرسول صحابته الكرام على هذه المعادلة.

اسـتقر في عقول أكثر الناس أن الدنيا والآخرة ضدان لا يجتمعان، كالليل والنهار، والملح والعذب بينهما برزخ لا يبغيان، فمن فاز بالدنيا ضاعت عليه الآخرة، ومن آثر الآخرة فليترك الدنيا لأهلها.

وثمرة لسـوء فهـم طائفـة مـن المسـلمين للإسـلام ولحقيقـة التـدين تشـوهت صـورة الـدين في عيـون بعض المسـلمين وغير المسلمين، وغدا التدين قرين الجهل والفقر والغلظة والحرمان والأحزان.

وحتى نؤسـس معرفة زاهية عن الإسلام عند أولادنا في مجتمع تتوافر فيه صور الرفاهية المادية واستثمار المناسبات في صناعة السعادة والبهجة، علينا أن نبرز الجوانب التالية عند عرضنا للسيرة النبوية:

- العلاقة بين العلم والإيمان في السيرة النبوية.

- الفنون في السيرة النبوية (فن الغناء، الشعر.. إلخ).

- اللهو والترفيه في السيرة النبوية.

- التفكير والعقل في السيرة النبوية.

- الابتسامة والضحك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والضوابط الحاكمة لذلك.

- النظام والتخطيط والدقة والانضباط في الأعمال في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

- الجمال وآفاقه وأنواعه في السيرة النبوية.

- الحوار وآدابه في السيرة النبوية.

· العلاقات الأخوية بين الصحابة الكرام ومفهوم الحب في الله.

ما أهم وسائل عَرْض السيرة؟

سؤال الكيف يُعنى بالوسائل والأساليب، لـذلك سـنذكر بعض الوسائل التي تساعـدنا في تقريب السـيرة النبوية ووصول المعاني والأهداف التربوية، ونذكر منها:

1- اللعب مفتاح للعقول والقلوب: اللعب وسـيلة مهمـة في ترسـيخ المفاهيم، والتربيـة عن طريق اللعب علم مسـتقل، وعلينا أن نفيد منه، وأن نبتكر الجديد.

2- المجسـمات: حينما يشارك الطفل في بناء مسـجد الرسول صـلى الله عليه وسلم بيديه سيشعر وكأنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ويمكن أن نبدع في صـناعة أجواء مصاحبة عند مشاركة الأطفال في بناء المسـجد؛ موسـيقى مناسبة، أنشودة.. إلخ.

وهناك كثير من المجسـمات التي يمكن للأطفال تصـميمها، وقد أبدع مشـروع السـيرة النبوية في العديد من الدول الأوروبية في تقديمها لكافة الأعمار وابتكر وسائل جديدة عديدة:

- بناء المسجد النبوي.

- بناء بيوت أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم.

- بناء الكعبة المشرفة.

· رسم طريق الهجرة للحبشة مع السفن التي سافر عليها الصحابة.

- رسم وتصـميم طريق الهجرة إلى المدينـة (الغار، قصـة سـراقة، خيمـة أم معبـد، المدينـة في اسـتقبال الرسول صـلى الله عليه وسلم..)، مع التأكيد على الحرمة القاطعة لتصوير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

3- المسابقـات المتنوعـة للأطفال: المسابقـة من عوامل حفز العقول واكتشاف المواهب وتعزيز الملكات عنـد أولادنا، وعلينا أن نبتكر في هذا الميدان والأمثلة كثيرة، منها مسابقة في: الشعر، الرسم، التصوير، صناعة الفيديو، القصة.. إلخ.

4- السـيرة المرئية والمسـموعة: وهناك جهود طيبة في تسـجيل سـيرة الرسول صـلى الله عليه وسلم، يمكن أن يستمع الأطفال إليها قبل النوم، مع حسن اختيار المادة المسجلة بطريقة وأسلوب جاذبين.

5- قصـص الصـحابة للأطفـال: للقصـة المكتوبـة أثرها العظيم في تشـكيل شخصـية المسـلم منـذ الصـغر، فاحرص على شـراء ما استطعت من قصص الصحابة واقرأها معهم، وتأمل دروسها ومعانيها.

والله الهادي لما فيه الخير، وهو خير مأمول أن يصـلح أبناءنا ويجعلهم من الصالحين ويرزقنا وإياهم شـفاعة الرسول المصـطفى صلى الله عليه وسلم ويجمعنا به في جنات النعيم.

نقلا عن "المجتمع"